معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الثانية، العدد الثاني – ٢٠٠٦

كوثر عبد القادر

مراجعة كتاب :
مباحث في السنة والبدعة والخرافة

للدكتورة عفاف عبد الغفور حميد، (ماليزيا: دار التجديد، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد؛

فإن الدراسات عادة ما تهتم بتوصيف محور أو فكرة معينة وتسليط الضوء على متعلقاتها وآثارها، حتى تصل في النهاية إلى بيان النتائج المترتبة عنها.

والكتاب الذي بين أيدينا يعالج الكثير من المحاور أو الأفكار الأساسية في بوتقة واحدة عنوانها مباحث في السنة والبدعة والخرافة.

يتكون الكتاب من ٢١٩ صفحة من الحجم المتوسط مقسمة إلى اثني عشر مبحثاً. وتتوزع السنة والبدعة والخرافة مباحث الكتاب فيتناول المبحث الأول والثالث موضوع السنة وينفرد المبحث الأخير الثاني عشر بالخرافة وتستقل المباحث الأخرى بموضوع البدعة، وتقول المؤلفة: "ولقد طغت مباحث البدعة على المباحث الأخرى للسنة والخرافة نظراً لأهمية هذا الموضوع وخطورته".[١]

---

١ – عفاف عبد الغفور حميد، مباحث في السنة والبدعة والخرافات، ص ٦.

صدّرت المؤلفة بمقدمة، ثم بعرض الموضوع، وذيّلت بقائمة المصادر والمراجع التي استخدمت في الدراسة. وفي مراجعة الكاتبة لهذا الكتاب القيّم ستتناول بالنقاش ثلاثة محاور أساسية وهي:

المحور الأول: السنة

يمثل هذا المحور موضوع المبحث الأول وقد أطلقت عليه المولفة "السنة وحجيتها"، إذ تحاول من خلاله أن تناقش تعريف السنة لغة واصطلاحاً، أما من ناحية الاصطلاح فوضحت بأن معنى السنة في اصطلاح العلماء يختلف حسب اختلاف أغراضهم واختصاصهم، فهي عند الأصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء. ثم ذكرت أدلة حجيتها سواء من القرآن الكريم، السنة النبوية، إجماع الصحابة، الدليل العقلي(تعذر العمل بالقرآن بدون الرجوع للسنة). ثم عن علاقة السنة بالقرآن من جهة دلالة الأحكام.

أقسام السنة الفعلية والسنة التركية

السنة الفعلية: ذكرت المؤلفة تقسيمات للعلماء لأفعال الرسول عليه الصلاة والسلام كالقرافي وابن القيم، وقد استفاد الشيخ محمود شلتوت ممن سبقه كالقرافي والدهلوي ورشيد رضا، ثم انتهت بتقسيم الشيخ علي محفوظ.

ويكمن الخلاف في الفعل الذي ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام و لم يكن مع الفعل دليل آخر، فعلى رأي الشوكاني مندوباً، وعلى رأي الآمدي أن فعل الرسول عليه الصلاة والسلام له يخرجه من الحظر إلى الإذن فقط، وأي حكم آخر يحتاج إلى دليل آخر، وعلى رأي ابن الحاجب فهو مباح، ومع ذلك فإن كلاً من الآمدي وابن الحاجب لا يعارضان في أن الفاعل لها مثاب إذا قصد التأسي بالرسول عليه الصلاة والسلام، لأن المتفق عليه في أن المباح من الأعمال كالأكل

والنوم يثاب فاعله بقصد التقوي على العبادة، فثواب الفاعل لأفعال الرسول هذه بهذا القصد أولى، أي بحسب النية.

السنة التركية: قامت المؤلفة بتفصيل الكلام عن الأفعال التي تركها الرسول عليه الصلاة والسلام، فليس كل شيء تركه الرسول عليه السلام ويعمله المسلم بدعة، فطرحت سؤالاً: كيف يقال فيما ترك الرسول عليه الصلاة والسلام وفعله الخلفاء الراشدين؟ فحاولت الإجابة على ذلك بأمرين: **الأول:** أما لعدم الحاجة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. **والثاني:** وجوب المقتضى وهو حب التقرب إلى الله تعالى، ولكن هناك مانع في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، كصلاة التراويح جماعة، فإن المانع من المواظبة عليها جماعة هو خوف الفرضية، فلما زال المانع بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام وانتهاء الوحي صح الرجوع بها إلى ما فعله الرسول في حياته.

ثم بعد ذلك تنتقل المؤلفة إلى الحديث عن الحكم في السنة التركية وبيان التفصيل في المتروك، ونقل الصحابة للسنة التركية، والاعتصام بالقرآن والسنة وشروط العمل المقبول أمران: **الأول:** الإخلاص. **والثاني:** الموافقة للشرع في العمل والتنفيذ.

المحور الثاني: البدعة.

مفهوم البدعة ونشأتها

ذكرت المؤلفة التعريفات المتعلقة بالبدعة من الناحية اللغوية والاصطلاحية. فالكاتبة ستتطرق من ناحية المعنى الاصطلاحي. فقد ركزت المؤلفة على تعريفات للعلماء منهم ابن منظور، وابن رجب، والشاطبي، والشافعي، وابن تيمية ثم قامت بمناقشة التعريفات كل على حدة. وبتفصيل حول تعريف الشاطبي. وختمت الحديث على تعريف السعدي فيقول: "إحداث فعل أو اعتقاد او قول لم يرد به

إذن من الشارع في كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس، ولم يدخل تحت القواعد والمبادئ العامة للإسلام، أو إحداث ما يعارض ذلك ويخالفه".[٢]

ومن الملاحظ بأنها لم تصرح ما هو الأرجح من بين تلك التعريفات وقد يعتقد القاريء بأنها تميل إلى تعريف الشاطبي فلو أنها صرحت لكان أفضل حتى يبتعد عن الشك.

ثم يتحول الحديث عن تاريخ نشأة البدع وظهورها في أوساط هذه الأمة. وفي هذا الإطار تتطرق المؤلفة إلى ذكر عدد من الفرق التي ابتدعت في الدين الإسلامي قديماً وحديثاً. وتؤكد بأن كل ذلك من الابتلاء الذي حاق بالأمة ليميز الخبيث من الطيب.

وتستشهد الدكتورة على إنكار البدع وذمها من ناحية الأدلة الشرعية (القرآن الكريم، والأحايث النبوية، وآثار الصحابة) والأدلة العقلية.

أقسام البدعة

ثم بعد ذلك تنتقل الدكتورة إلى أقسام البدعة عند العلماء، وهما نوعان، **الأول**: أقسام البدعة بالنظر إلى متعلقاتها. **الثاني**:أقسام البدعة بمعناها اللغوي العام وتخصيصها. ولكل قسم من تلك الأقسام تتشعب من خلالها أنواع متعددة مع ذكر توضيح بسيط وإعطاء مثال على كل قسم.

الفرق بين البدع والمصالح المرسلة

تعلن المؤلفة بأن هناك خلط كبير بين البدعة والمصالح المرسلة أدى إلى اعتقاد حسن ببعض المحدثات في الدين. وقد رأت بأن الخلط كان في تقسيم البدعة إلى حسنة ومذمومة، وما ذهب إليه بعض العلماء من تقسيم للبدع إلى الأحكام

[٢] المرجع السابق: ٣٠.

الخمسة، وضربوا الأمثلة مع أدلتها علماً أن البدعة من أصولها ليس لها دليل، وأن ما هو في قسم البدع الواجبة والمندوبة يلاحظ أنها مما ثبت للمصالح المرسلة وليست من الابتداع في شيء، عدا التسمية اللفظية والاعتبار اللغوي العام.

ثم تبين تعريف المصلحة المرسلة، وأنواعها وحجيتها، وشروطها، والصلة بينها والبدع. ووضحت بأن هنالك نقاط اتفاق واختلاف بينهما. ثم ذكرت أمثلة موضحة للمصلحة المرسلة.

الشبه التي يستدل بها على تحسين البدعة والابتداع

ثم تعرج المؤلفة إلى الحديث عن الشبهة وأن أهل البدع يتعلقون بشبه يتخذونها أدلة على بدعهم، وهذه الشبه على أقسام: منها أدلة شرعية، تتمثل في أحاديث بعضها صحيح ولكن ليس فيها دلالة على ما ذهبوا إليه، وبعضها ضعيف أو موضوع، ومن آثار وردت عن بعض الصحابة أو التابعين أو العلماء وأساءوا فهمها، واستدلوا بها على تحسين بعض البدع، وجواز الابتداع. وتقع في أربعة شبهات فهي كالتالي:

الشبهة الأولى: (من سن في الإسلام سنة حسنة...) وهو حديث صحيح ولكن ليس فيه ما يدل على ما ذهبوا إليه.

الشبهة الثانية: تعلقهم بالأثر "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن".

الشبهة الثالثة: تعلقهم بقول عمر رضي الله عنه: "نعمت البدعة هذه".

الشبهة الرابعة: تعلقهم بقول الله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ).[٣]

---

[٣] سورة الحديد: ٢٧.

وحاولت المؤلفة الرد على تلك الشبهات مدعمة بالأدلة والحجج والبراهين على توهم أهل البدع في التعلق بتلك الشبهات.

أسباب ظهور البدع ووقوعها

استهلت المؤلفة هذا المبحث بتناول العلماء لهذا الموضوع، وقبل أن يشرعوا بذكر الأسباب قالوا بأن شطراً من تلك الأسباب هو سبب قدري أزلي من الله تعالى لحكمة أرادها، كما ذكروا أن الشطر الثاني من تلك الأسباب هو كسبي من عمل الإنسان، وتقول (وفي هذا المبحث سوف اتناول الأسباب ضمن الشطر الثاني وهو (الكسبي) لأنها المقصودة بالدراسة، ومع كثرة الأسباب إلا أنها جميعاً تعود إلى أساسين رئيسين هما: أما الزيادة في الدين بما ليس منه، وإما النقص منه بنفي أو إهمال بعض ما هو منه- بتأويل أو تمويه- أو الكذب).[٤] فذكرت الأسباب مع تحليل بسيط، واستشهاد من الأدلة القرآنية أو الأحاديث النبوية أو آثار الصحابة أو التابعين.

لحكمة أرادها، كما ذكروا أن الشطر الثاني من تلك الأسباب هو كسبي من عمل الإنسان، وتقول (وفي هذا المبحث سوف اتناول الأسباب ضمن الشطر الثاني وهو (الكسبي) لأنها المقصودة بالدراسة، ومع كثرة الأسباب إلا أنها جميعاً تعود إلى أساسين رئيسين هما: أما الزيادة في الدين بما ليس منه، وإما النقص منه بنفي أو إهمال بعض ما هو منه- بتأويل أو تمويه- أو الكذب).[٤] فذكرت الأسباب مع تحليل بسيط، واستشهاد من الأدلة القرآنية أو الأحاديث النبوية أو آثار الصحابة أو التابعين.

---

[٤] المرجع السابق: ١٠٧.

قواعد البدعة وضوابطها

ترى المؤلفة لمن أراد التمييز بين البدع وغيرها أن يكون عارفاً بشيئين:

الأول: سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسنته حتى تكون عنده كالأصل والقاعدة التي منها ينطلق في التمييز بين السنن والبدع.

الثاني: معرفة علم أصول البدع، ليسهل عليه تطبيق الفروع على الأصول.

وترى أيضاً إلى أن معرفة هذين الأمرين والتمكن من فهمها تعطي طالب العلم من ركائز قوية يخرج من خلالها بأحكام ثابتة رصينة بعيدة عن الشك والخطأ.

ثم بعد ذلك تذكر أهم القواعد والضوابط للبدعة عند أهل السنة مع دعم كل قاعدة بأقوال العلماء والأمثلة.

حكم البدعة والمبتدع

بينت المؤلفة بأن البدع كلها تشترك في الضلالة، إلا أن حكم البدعة ليست على نسق واحد بل تتفاوت فبعضها كفر يخرج من الملة، وبعضها من جنس المعاصي التي تتراوح بين الكبيرة والصغيرة، وبناء عليه فمنها ما هو محرم ومنها ما هو مكروه. ويختلف حكم البدعة عند العلماء حسب اختلافهم في مفهوم البدعة على طريقتين: **الأولى:** من عمم البدعة في كل حادث مذموماً كان أو ممدوحاً، أي جعل التقسيم إلى حسنة وسيئة، فهؤلاء قسموا الحكم إلى التكاليف الخمسة. فلا شك في أن البدع عند هؤلاء ليست على مرتبة واحدة بل تختلف فيما بينها من ناحية القبول والرد. **الثانية:** من جعل البدعة نوعاً واحداً كلها ضلالة ومذمومة. فحكم البدعة عموماً على هذه الطريقة حرام.

أما حكم المبتدع فيختلف بحسب حاله فهناك الجاهل والمتأول ومنهم العالم وغير المتأول ومنهم الداعي لبدعته، كما أن هناك أحكام دنيوية وأحكام أخروية، ففصلت المؤلفة حول ذلك.

آثار البدعة وأضرارها

عرضت المؤلفة عن أضرار البدعة والتي تبدأ بالفرد والمبتدع نفسه، ثم تتجاوزه إلى الأمة كلها. فاستوفت بالشرح والتفصيل مدعمة بقول العلماء.

وبعد أن استعرضت المؤلفة عن كل الأمور المتعلقة بالبدعة انتقلت إلى موضوع آخر وهو

المحور الثالث: الخرافة

الخرافة وطبيعتها وعلاقتها بالبدعة

تعلن المؤلفة بأن التفكير الخرافي يبعد عن التفكير المنطقي والاستدلال الصائب والأحكام الصحيحة. والخرافة نمط من التفكير يقوم على تصديق الأوهام. وأنها تنتشر في الشعوب البدائية، وتتناقص في الشعوب المتقدمة، وأنها تنتشر مع الجهل والفقر. وتؤكد بأن هناك صلة بين الخرافات والبدع من حيث أنها لا تخالف الواقع ولا دليل عليها لا من عقل ولا نقل، بل تعتمد على الأوهام والخيال الممزوج بالهوى.

ثم تنتقل إلى تعريف الخرافة لغة واصطلاحاً. وتبين بأن هنالك اختلافاً ما بين الخرافة والشائعة. وتوضح بعد ذلك عن وظيفة الخرافة وأن مصدرها أما الجهل أو ضغوط الحياة، وبالنسبة للمسلم تعبر عن الخواء الروحي والفكري، وضعف الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، كما أنها تدل عن جهل بسنة الابتلاء في الحياة.

وبعدها تستعرض المؤلفة كيف تتكون الخرافات وظهورها فهي عبارة عن جمع الخرافات إلى وقت مبكر إلى ما قبل التاريخ، عندما كان الناس يعيشون في

أحضان الطبيعة، ويشاهدون ظواهرها المختلفة فتثير في نفوسهم الرهبة ومن ثم تثير في الوقت ذاته الرغبة في الاستطلاع ومعرفة الأسباب، ولكنهم لم يكونوا باستطاعتهم أن يصلوا إلى معرفة أسباب تلك الظواهر، و لم تكن العلوم قد ظهرت، فراح الإنسان يتخيل حتى توصل إلى ما يعتقده هو الحل الذي اعتمد على الخيال، ورجعوا في تلك الظواهر إلى الأرواح والشياطين وفسروها تفسيراً خرافياً. وبعد ذلك راحوا يطلبون الحل والعلاج على ضوء تلك التفسيرات الخرافية، فعالجوها بالقرابين والتعاويذ والسحر. وذهبوا لاستكشاف الغيب بالتشاؤم والتطير. وكان التفكير الخرافي لا مفر منه في حياة الناس، فصارت تلك المعتقدات جزءاً من عاداتهم وتراثهم.

ثم وضحت المؤلفة عن أسباب نشأة وظهور الخرافة، والعوامل المساعدة على انتشارها، ولاحظت الكاتبة بأن هنالك بعض النقاط المتشابهة بينهما. ثم تتطرق عن الفرق بين التفكير الخرافي والتفكير العلمي، وأضرار الخرافة وآثارها السلبية، وصفات الشخص الخرافي وعلاقة الخرافات بالبدع، ودعمت قولها بالكثير من الأمثلة.

وتختم الحديث عن وسائل الوقاية من البدع والخرافات، فجعلتها في عشرة وسيلة.

ملاحظات عامة:

وبعد هذا العرض التحليلي المفصّل لكتاب "مباحث في السنة والبدعة والخرافة" تبقى بعض الملاحظات العامة فهي كالتالي:

أولاً: تمتاز هذه الدراسة بأنها جهد يمثل في جمع المؤلفة المعلومات من كتب العلماء والفقهاء واستخراجها من أمهات الكتب.

ثانياً: ستساهم هذه الدراسة في دفع عجلة العلم حول معرفة البدعة والخرافة، لأن ما زال هنالك القليل من الدراسات المتعلقة بالبدعة والخرافة.

ثالثاً: حاولت المؤلفة بقدر المستطاع بأن تدعم أقوالها بإعطاء الكثير من الأمثلة حتى يسهل على الطالب فهم المراد منه.

رابعاً: قد تفتقر الدراسات الحديثة حول موضوع الخرافة، فهذه الدراسة حاولت أن تبين عن كل الأمور المتعلقة بها، وأوجه الفرق بين الخرافة والبدعة.

تلك بعض من الجوانب الإيجابية، لكن هنالك بعض من الجوانب السلبية في الدراسة فتكمن في النقاط التالية:

أولاً: تحتاج هذه الدراسة إلى إطار نظري يهتم بتحليل آراء العلماء، فقد يلاحظ القاريء بأن الدراسة عبارة عن جمع المعلومات من كتب العلماء بدون تحليلها او تبسيطها.

ثانياً: أسلوب معقد يحتاج إلى تسهيل ورؤية نظر وخاصة لأن الكتاب يعتبر مرجع أساسي للطالب في مادة السنة والبدعة والخرافة.

ثالثاً: هنالك بعض من المباحث المطولة والتي تحتاج إلى إختصار شديد، وبعض من الأمثلة المتكررة مما يؤدي إلى ملل القاريء.

رابعاً: لم يسلم الكتاب من الأخطاء المطبعية فيحتاج إلى إعادة القراءة مرة أخرى.

خامساً: تحتاج الدراسة إلى خاتمة تقود القاريء إلى النتائج التي توصلت إليها المؤلفة.